

القراءة وإشكالية التأويل

Reading and the problem of interpretation

د. قزير عثمان^{*1}¹ جامعة ابن طفيل، القنيطرة. المغرب، athmaneqziber@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/ 12/ 29 تاريخ القبول: 2021/02/02 تاريخ النشر: 2021/03/31

Summary

This article aims to examine the dialectic relationship between the act of reading and the act of interpretation as two interrelated terms that are not right to the presence or existence of the other. It is also well known to us today that the term reading and interpretation is very common, it has imposed its presence very much based on theories that have concerned the act of reading as an interpretive activity played by the reader, that actual investigator reader of literary production or other productions worthy of the interpretive reading process. As a result, these processes by this or that reader have been characterized as "reading theory", while others have already liked the "theories of interpretation" and "there are virtues and the two terms are combined to call them "theories of reading and interpretation". But the question that imposes itself so strongly in this context is how is this dialectic relationship between the act of reading and interpretation?

Keywords: Reading, interpretation.

الملخص

يهدف هذا المقال إلى فحص تلك العلاقة الجدلية التي تربط بين فعل القراءة وفعل التأويل باعتبارهما مصطلحين مترابطين لا يستقيم أحدهما إلى بحضور الآخر أو وجوده. كما أنه لا يخفى علينا اليوم أن مصطلح القراءة والتأويل حديث الاستعمال، فقد فرض حضوره بشكل كبير جدا انطلاقا من النظريات التي اهتمت بفعل القراءة بوصفها نشاطا تأويليا يقوم به دور الذي يلعبه القارئ، ذلك القارئ المحقق الفعلي للنتاج الأدبي أو غيره من الإنتاجات التي تستحق العملية القرائية التأويلية. ونتيجة لذلك فقد وسمت هذه العمليات التي تقام من طرف هذا القارئ أو ذاك بـ "نظرية القراءة"، بينما أعجب آخرون ووصف هذه العملية بالفعل القرائي المنتج فوسموها بـ "نظريات التأويل" وهناك من فضل وجمع المصطلحين معا ليسميها بـ "نظريات القراءة والتأويل". لكن التساؤل الذي يفرض نفسه بقوة في ظل هذا السياق كيف تتم هذه العلاقة الجدلية بين فعل القراءة والتأويل؟ الكلمات المفتاحية: القراءة، التأويل.

* د. قزير عثمان: athmaneqziber@gmail.com

مقدمة:

تهدف هذه الدراسة إلى رصد جدلية العلاقة بين القراءة والتأويل. فمصطلح القراءة والتأويل مصطلح حديث الاستعمال، فقد نشأ بشكل علمي مع نظريات اهتمت بشكل كبير جداً بالقراءة باعتبارها نشاطاً تأويلياً يقوم به القارئ، على اعتباره محققاً فعلياً للنصوص. من هنا يعد مصطلح القراءة في جوهره ضرورة تحقيقية وإنتاجية، وهي فعل يستمد مفهومه في الأبحاث والنظريات المعاصرة من عملية تبدأ بتهجية الحروف والاستهلاك المحدود إلى عملية المساوقة والمشاركة في الإبداع والتصريف وهي على كل حال عملية معقدة تقوم على مجموعة من الإواليات والاشتغالات النفسية والثقافية والاجتماعية والجمالية وغيرها. في حين أن مصطلح (القراءة) الذي نؤرخ له، يواجه في الأوضاع الراهنة لمجتمعاتنا، تحديات ورهانات متعددة بل ومتعارضة، بعضها معرفي فكري وبعضها الآخر تاريخي، سياسي وإيديولوجي. ولذلك فقد نظر إلى هذا المفهوم النقدي من زوايا متعددة ومختلفة. كما أقيمت حوله أبحاث ودراسات علمية من قبيل: سوسولوجية القراءة وسيكولوجية القراءة وفي جمالية التلقي إلى غير ذلك من الدراسات والأبحاث بخصوص هذا المفهوم. فقد اعتبرت هذه الدراسات مصطلح القراءة بمثابة نشاط نفسي أو استجابة داخلية، واعتبرت بمثابة ظاهرة اجتماعية وتاريخية، واعتبرت بمثابة تحليلات دينامية لمعطيات ثقافية ومعرفية، في حين أن الإمام بكل هذه المجالات والجوانب صعب في مثل هذا السياق، فقد جاز لنا أن نفتتح على الإشارة إلى بعض الأفكار والنظريات المعاصرة التي تحاول تشرح وفهم مفهوم القراءة الفهم الذي يليق به، وإبراز أبعاده التواصلية والإنتاجية، لأجل فتح باب الحوار والتعامل مع مستجدات التلقي والتأويل.

وقبل الشروع في تحديد الأبعاد الكبرى لهذا المصطلح وكذا أهميته في قراءة البنى النصية لا بد من الإشارة إلى المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذا المصطلح كي يتجلى لنا أمر هذا الأخير بوضوح. بعد ذلك سننتقل على تلك العلاقة القائمة بين القراءة وإشكالية التأويل.

ولفهم هذه العلاقة بين القراءة وإشكالية التأويل لا بد من الوقوف مع مصطلح القراءة.

مشكلة الدراسة:

تتلخص مشكلة الدراسة بمعرفة العلاقة الرابطة والقائمة بين القراءة وإشكالية التأويل. ويتمخض عن هذا الأمر طرح بعض الأسئلة الفرعية وهي كالاتي:

كيف تتم عملية التأويل انطلاقاً من عملية القراءة؟ كيف تتشكل العملية التأويلية المنطقية؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

__ التعرف على مفهوم القراءة ومفهوم التأويل باعتبارهما مفهومين متداخلين كلاهما يكمل الآخر.

__ رصد جدلية العلاقة الرابطة بين فعل القراءة وفعل التأويل.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها تحاول الوصول إلى معرفة الكيفية التي يتشكل عبرها عنصر مفهوم القراءة ومفهوم التأويل للنصوص على اختلافها، وانطلاقاً من العمليات الإبداعية في النصوص الأدبية وغيرها من النصوص الأخرى: كالنصوص الدينية والسياسية والشعرية والقانونية والقضائية والإشهارية والاجتماعية ... الخ.

انطلاقاً من هذا وذاك ومن فعل القراءة والتأويل تمتحن هذه نمطية النصوص من هذه العمليات القرائية والتأويلية.

منهج الدراسة:

استخدمت في دراستنا هاته المنهج الوصفي والتحليلي وهو المنهج الشائع في مثل هذه الدراسات الإبداعية وغيرها.

حدود الدراسة:

تنحصر حدود هذه الدراسة في المجال الزمني على تنوعه وغير مرتبطة بنص من النصوص أو إبداع من الإبداعات فتبقى دراستنا هذه مفتوحة على أي إنتاج أنتج في زمن ما وفي سياق ما، فهي تبقى دراسة وصفية ومنهجية في التعامل مع النصوص كيف ما كانت، وليس دراسة تطبيقية أو على نص من النصوص. هذا ما جعل دراستنا تبقى دراسة مفتوحة وغير مقيدة بإنتاج أدبي أو غيره من الانتاجات الأخرى.

1. تحديد مفهوم القراءة لغة واصطلاحاً

1.1: في المعاجم اللغوية العربية:

القراءة هي مصدر للفعل الثلاثي "قرأ"، فقد ورد في لسان العرب "قرأه، يقرؤه، ويقرؤه، الأخيرة عن الزجاج، قرأ وقرأه وقرأنا، الأولى عن الحياني، فهو مقروء." (ابن منظور، د.ت، ص: 128) كما ورد لفظ القراءة بعدة معان أبرزها:

1_ الجمع والضم: أخذ هذا المعنى من "قرأت الشيء قرآنا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض، ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلى قط، وما قرأت جنينا قط، أي لم يضطم رحمها على ولد." (ابن منظور، د.ت، ص: 128)

2_ التبين: ويستفاد ذلك من تفسير ابن عباس - رضي الله عنه - للآية الكرمة "إذا قرأناه فاتبع قرآنه" بقوله: فإذا بيناه لك بالقراءة، فاعمل بما بيناه لك. (ابن منظور، د.ت، ص: 130)

3_ المدارسة: ويستشف ذلك من "قارأه مقارأة وقرأه، بغير هاء: دارسه." (ابن منظور، د.ت، ص: 129)

4_ التفقه: ينقل ابن منظور في اللسان عن الفراء، "يقال: رجل قراء وامرأة قراءة، وتقرأ: تفقه ... وقال بعضهم: قرأت: تفقّهت." (ابن منظور، د.ت، ص: 130)

5_ التلاوة: قرأ الكتاب قراءة: "تتبع كلماته نظرا ونطق بها، وتتبع كلماته ولم ينطق بها، وسميت حديثا بالقراءة الصامتة، وقرأ الآية من القرآن: نطق بألفاظها عن نظر أو عن حفظ." (مجمع اللغة العربية، 2004، ص: 722)

1. 2: في المعاجم الاصطلاحية العربية:

يدلنا مفهوم القراءة اصطلاحا على ذلك النشاط أو العملية المهاراتية المعرفية التي تقوم بشكل أساسي على تحليل وتفكيك الأحرف والرموز الخاصة بالكلمات وقراءتها بصورة مفهومة وواضحة على شكل جمل مفيدة، ويعبر هذا المفهوم عن العملية المعرفية الإدراكية التي يتم من خلالها النطق بالحروف الهجائية التي تقع عليها العين ويقوم الدماغ البشري باستيعابها، ويشترط أن يكون الشخص القارئ على معرفة ودراية مسبقة بالحروف الأبجدية، مما سبق نجد أن القراءة بمثابة حلقة وصل وربط بين ما هو مكتوب وموثق على الورق وما هو ملفوظ ومنطوق سواء بشكل سري أو علني. وعلى هذا الأساس فقد ورد مصطلح القراءة في المعاجم الاصطلاحية بمعان عدة تتنوع حسب اشتغال الدارسين عليها، أهمها:

- 1_ التلاوة: وهي هنا توافق المعنى اللغوي الذي يحمل معنى الأداء سواء كان ذلك جهرًا أم سرا.
- 2_ التفسير: وهو مفهوم يشير إلى تفسير الإشارات النصية، باعتبارها عناصر رمزية معبرة عن النص وعن الحضارة التي نشأ أو ظهر فيها النص، وهذا المفهوم شائع في بحوث ودراسات النقاد الذين يعتمدون في أعمالهم على نظرية التلقي والقراءة المفتوحة. (حجازي، 2001، ص: 66)
- 3_ التأويل: وهو طريقة خاصة لتأويل ما يقرؤه المرء لنص فهمه غيره فهما مختلفا؛ وهو بذلك يدل على تأويل جديد لنص معين.

2. التفاعل بين بنية النص والمتلقي

يجوز أن نؤكد حقيقة كبرى مفادها أن الكتابة الثانية والتي في عمقها قراءة فقد تجد متعتها انطلاقاً من التفاعل بين بنية النص والمتلقي، بحيث تصير ذات المتلقي تتلقى الظواهر النصية، وتستنتقها بالمساءلة، بدءاً من كشف مخبئها المتجلي بصيغ تتولد وتتجدد وفق ما يرومه القارئ، متأماً بياض النص وفراغه. ومن غير شك أن النصوص تحكمها استراتيجيات ثاوية تحتاج إلى قارئ يتغلغل في أصولها ويفكك مضمراؤها التي تُمارس الحجب، بله يأتي باستراتيجية تُعكسه بتعبير فولفغانغ إيزر (Wolfgang Iser)، ولا يمكن بحال التفكيك وكشف الحجب إلا بنقد يواجه شقاء الوعي، حتى لا يآتمر المفكك باللاهوت ولا بأعطاب الحداثة، لأن كل هذه الأشياء ليست إلا حجباً يمنع من فهم النصوص، وكما هو معلوم فالنص نسيج من العلاقات المفتوحة التي توجد، دائماً، في حاجة إلى إعادة ترتيبها، والكشف عن بنيتها. لكنه ليس مجالا لكل أنواع القراءات ولكل التأويلات، الأمر الذي يدفعنا إلى اعتبار الإستراتيجية النصية جهازاً يجب تحديده ومعرفة حدوده. ومن ثم، وجبت الإشارة إلى أن للتأويل حدوداً يجب مراعاتها. لأن حين يتحول التأويل إلى آلة لجعل النص يقول ما ليس له علاقة به وبالأخص ما يتعلق بالنصوص التراثية، فإنه سيدفع بالمعرفة إلى الوراء، وسيؤدي ذلك إلى تقديس الماضي من جديد.

في حين أن العملية التأويلية تتأسس على العلاقة التي يقيمها الدارس المعاصر مع النصوص. فمغامرة التأويل تبدأ من هنا، لتصبح القراءة كتابة فوق أخرى "والكتابة كلها قراءة في نصوص، وأن القراءة كلها كتابة في نصوص. ومن هنا فإنه ما من شيء إلا والقراءة تقوله، وما من شيء في القراءة إلا والكتابة تسجله. ومن هنا يكون كل مكتوب هو كتابة ثانية بحدث القراءة فيه، وأن يكون كل مقروء هو قراءة ثانية بحدث الكتابة فيه." (عياشي، 1998، ص: 06)

3. القراءة ودورها التأويلي في الكشف عن المعاني

وتجدر الإشارة هنا إلى أن القراءة مفهوم يستمد عمقه من القوام المعرفي الذي يقوم عليه التراث التأويلي، فله تأويل ينهل من النظريات التأويلية المعاصرة والقراءة كما هو معلوم، ممارسة تأويلية تفكيكية لا تستقر على حال، مختلفة إلى قراءات تتباين معها، مُشكّلة أفقا مغايرا يُحكمه يُسائل القارئ التجارب السابقة التي تتملكها مرجعيات تحكم النص. إن القراءة من هذا التصور "هي، في حقيقتها، نشاط فكري/لغوي مؤلّد للتباين، مُنتج للاختلاف. إنها تتباين بطبيعتها، عما تُريدُ بيانه، وتختلف بذاتها، عما تُريدُ قراءته. وَشَرْطُهَا، بَلْ عِلَّةُ وُجُودِهَا وَتَحَقُّقِهَا أَنْ تَكُونَ كَذَلِكَ، أي مُختلفة عما تقرأ فيه، ولكن فاعلة في الوقت نفسه، ومنتجة باختلافها، واختلافها بالذات. والقراءة التي نزعُمُ أنّها ترمي إلى قراءة نفس ما قرأه مؤلّفُ النص، بحرفيته، لا مبرّر لها أصلاً، إذ الأصلُ يكونُ عندئذٍ أولى منها، بل هو يغني عنها. هذا، إن لم نُقل بأنّ مثل ذلك الزعم هو غشٌ وخداعٌ. ذلك أن القراءة الحرفية مطلب يتعدّد تحقُّقه، ومطلوبٌ يستحيلُ بلوغه، إذ الوقوفُ عند المعنى الحرفي للنص، معناه التكرار. والنص لا يتكرر، وإلا بطلَ كونه مقروءاً." (حرب، 2011، ص: 05) فالمطلب الرئيس من القراءة تحقيق تفاعل مع النصوص المحكومة باستراتيجياتها، انطلاقاً من تأويلها وتفكيك طبقاتها والكشف عن مقاصد تسترّها نُظُم الخطاب؛ بحثاً عن الاختلاف بدلا من الإتيان بما أملاه المؤلف، ولإيضاح ما نرمي إليه، فإن «القراءة لا تهتم بإبراز النسق الذي يقوبل الفكر، لأن من شأن الفكر الحر أن لا ينغلق على نفسه في نسق جامد، كي لا يلغي بذلك إمكان المساءلة والفهم. ولا تهتم أيضا برد الأفكار إلى مكوناتها وعناصرها إذ البحث عن المكونات يؤدي إلى تقويض المعنى. ولا هي تبحث في آلية العقل، أي في الأداة التي يستخدمها في إنتاج ما ينتجه، لأن العقل ليس أداة ولا آلة، وإنما هو إمكان ذهني، فضلا عن أن العقل في النهاية ما يعقله. وباختصار، إننا نرى إلى النصوص بوصفها فسحة كلامية متجددة واحتمالا لا يتوقف عن التأويل.» (حرب، 2007، ص: 12) فالأنساق تُضمّر أوهامًا كثيرة تقيد الإرادة الحرة، ولا تسمح بتجاوزها أو رفضها، وحاصل ذلك

أن ممتن الكتابة لا يستطيع أن يفسح لنفسه مجالا تتجلى معالمه في مفاهيمه. وقد تسعى القراءة إلى تفكيك/ تقويض الأنساق لأنها تكرر دائما لأحادية البعد المأسور إلى قوالبه الجامدة كيف ما كانت.

وعلى هذا النحو، فالتأويل / القراءة الذي نرمي إليه تأويل يولد المعنى، أي تأويل قائم على فلسفة الاختلاف. فالقول به أكد من التكرار، لأن في الاختلاف اجترحا للمعنى وتوليدا للكلمات التي تظهر قوته وتفرض "توليفا أصليا لا تسبقه أية بساطة مطلقة. وهذا هو الأثر Trace الأصلي، فبدون أثر يحفظ الآخر كآخر في المثل، لا يمكن لأي اختلاف أن يقوم بعمله، ولا لأي معنى أن يظهر، ما يريد "جاك دريدا" (Jacques derrida) أن يؤكد أنه لعبة الاختلافات، هذه هي أساسية في كل اعتبار للغة ... ليس هناك من مفهوم يستطيع أن يستوعبها، لأنها هي الأصل الذي لا أصل له، فإذا كان الأصل بلا مركز، فهذا يعني بكل بساطة أن الأصل الذي قام عليه كل تراث فلسفي يتفكك وينهار. لقد قام على فكرة الحضور والوضوح والمتقابلات، ونسي أن الأثر أو الاختلاف الذي يتركه عنصر كاختلاف لدى عنصر آخر حسي ثم دلالي لا يوجد ... إن هذا الاختلاف ليس أكثر حسية أو أقل عقلانية، بل إنه يسمح بتحريك الإشارات وتفاعلها فيما بينها، وداخل نظام مجرد، وهو يؤسس التعارض الميتافيزيقي للحسي والعقلي، ثم بين الدال والمدلول، والمبنى والمعنى، والتعبير والمحتوى." (زيناقي، 2013، ص: 235، 324)

وقوة الاختلاف باعتبارها فكرة "أساسية في التصور التفكيكي وهي تخدم تراكيب الكتابة من غيرها من المستويات، والتفكيكية بهذا المفهوم نشاط قراءة يبقى مرتبطا بقوة النصوص." (فضل، 2013، ص 109) ويتأكد ذلك من خلال استنطاق النص بالمساءلة، بحيث إن "النص يمكن أن يقرأ بتجاوز لمعناه التواضعي والاصطلاحي، وهذه القراءة نوع من اللعب الحر." (مفتاح، 1990، ص: 101)

وفي هذا السياق، يقول امبرتو إيكو (Umberto eco) قارئا لجاك دريدا إن: «النص لا يحتوي على أي مدلول متفرد مطلق، ولا وجود لأي مدلول متعال، ولا يرتبط الدال بشكل مباشر بمدلول يعمل النص على تأجيله وإرجائه باستمرار.» (إيكو، 2004، ص: 125، 126)، ذلك أن إيكو قد "بنى

[...] في مقابل التأويل التفكيكي، اللامتناهي، موقفا نظريا وفلسفيا، ينظر إلى التأويل على أنه نشاط سمائي، تحكمه قواعد ومعايير. "(بوعزة، د.ت، ص:71)

يرى إيكو انطلاقا من السيميوز المتناهية، أن النموذج الثاني من التأويل مبني على فكرة الحد، فهو ذو أصول حضارية تمتزج داخلها السياسة بالمنطق والتاريخ. فالحدود هي أصل البناء "بناء المدينة وتحديد تخوم الإمبراطورية موجودة لأن هناك حدودا ترسم هويتها." (إيكو، 2004، ص:10) وهذا معناه كما يقول إيكو أن فكرة الحد كانت تتسم بقدر كبير من الأهمية، لكونها الفيصل بين موقفين تأويليين، أو طريقتين في فك رموز النص.

يشير "إيكو" إلى أن إستراتيجية التأويل الدريدية، في تعاملها مع النصوص، لا تخضع لحدود منطقية، بسبب التأويل اللامتناهي، السبب الذي يرهق النص، ومرد ذلك إلى الترافص كما عبر عنه عبد العزيز حمودة في قوله عن الناقد والنص الأدبي: «يهتز كل منهما إلى الجانب المعاكس من جانب رفيقه، دون أن يتقابلا في منتصف الطريق إلا لثوان عابرة لا يمكن وصفها بالثبات. الطرف الذي يرهق في هذه الرقصة المتكررة كل ليلة هو النص الأدبي، إذ إنه، نفس الراقص/ النص، مضطر لمراقبة كل الحاضرين، في ليلة واحدة، وفي كل ليلة.» (حمودة، 1998، ص:232) يعني أن النص يخضع للمنطق الذاتي لكل قارئ. "وهذا ما يجعل استراتيجية التأويل نسبية." (الزاهي، 2003، ص:101)

واستنادا إلى ذلك، نتوسل بالسؤال الحوارى الذي يساعد على تمثل معنى من خلال معانقة النص اللامتناهي "ولعبة السؤال والجواب التي ورثها غادامير عن حوارية سقراط تعبر، عند فاتيما، عن الطابع اللاهائى والعدمي للتأويل بحيث كل جواب عن سؤال هو ضمينا سؤال مفتوح لا ينعلق." (شوقي الزين، 2002، ص:19)

وبناء على لعبة السؤال والجواب تتحقق حوارية مع التاريخ الذي يخفي نرجسية نبتغي اجتراح أصولها؛ بدلا من التقييد بالنقول والسجود لأصنام الشرق المفتون بذاته، والداعي إلى الحقيقة المطلقة التي

تأمل خطاب الهوية بوعي دوغمائي، يقتضي منا فضح ألاعب الحقيقة التي يُمارسها خطاب الحقيقة. وهذا ما يتكلف به النقد، ذلك أن النقد يُبَيِّنُ لنا أنَّ الكلمات ليست بريئة في تمثيلها لعالم المعنى...، إنه يبين أن للخطاب نشاطاته السرية وإجراءاته الخفية. ولهذا ليس النص نصا على المعنى المراد، بقدر ما هو حيزٌ لممارسة آلياته المختلفة في الحجب والخداع والتحوير والكبت والاستبعاد.

وهذا شأن كلمة الحقيقة ذاتها، فهي تُخفي ما تُشيرُ إليه وتتكلمُ عليه. ذلك أن ما تُضمِّره هذه الكلمة وتسكت عنه، فيما هي تُعلنه وتَنطِقُ به، هو أن الحقيقة مُطلَقةٌ نهائيةٌ ثابتةٌ أُحاديةٌ. وفي هذا تأليهٌ للحقيقة، وفي التأليه حجبٌ وتغييبٌ. (حرب، 2011، ص: 01) ولما آلت الخطابات الأيديولوجية إلى تأليه مسألة الهوية بمعطيات هي في ذاتها تنفي التغير، فإن التأليه مرتبط بتقييدات يحكمها الاعتقاد بعدم تجاوز خطوط حمراء وضعتها الأيديولوجيا. الأيديولوجيا بوصفها صنما يعبد. وعلى ذلك يقول بول ب أرمسترونغ Paul B. Armstrong: «يُمْكِنُ أن يُساعدنا دورُ الاعتقاد في الفهم على توضيح هذه التناقضات في عملية التأويل». (أرمسترونغ، 2009، ص: 51) وللاعتقاد دور كبير في انسداد الفكر، بحيث يصير تمثل المعتقد مأسورا إلى تثبيت اعتقاده، على حساب حرية الفكر، وبه تُنسى الثقافة قولاً بالانغلاق، ولهذا الأخير دلالات متعددة أثبتتها "الخطيبي" ناظرا إلى المغرب بوصفه فكرا حُددت مجالات حرته وانغلاقه «الانغلاق الذاتي، الانغلاق بقوة القانون المجتمعي، الانغلاق بالقوة، الانغلاق المولد لنظام المراقبة والتعذيب للجسد والذهن. ليس هناك انغلاق ثمة حيث نفكر، بل هناك حيث نعتقد. ذلك أن أمام الفكر دائما شرطا، هو خطورة حرته، وعليه أن يقيس استراتيجيتها، أن يجرب حظه الذي "ربما" لم يتم الحصول عليه إلا بعد جهد مضمّن». (الخطيبي، 1984، ص: 195) وزيادة في التوضيح فالقول بأن "اعتقادا لا يُداخلُهُ الشكُّ أمرٌ خطير". (أرمسترونغ، 2009، ص: 53) إذن، فالتأويل حوار في صميم الكينونة، حوار لا مجال فيه للفصل التام بين الذات والموضوع، كما يقول علي حرب. وانطلاقا من هذا، فالمؤول يتأول تاريخه ويتغلغل فيه كي يدرك ذاته وأهواءه، لذا "ليس التأويل مجرد تقنية للبحث أو أداة للمعرفة أو طريق إلى الحقيقة. وإنما هو مجال للفهم ويسمح بإعادة تعريف الأشياء. فالمنهج ليس طريقا إلى

الحقيقة وحسب، ولكنه أيضا سبيل إلى تحديد فهمنا للحقيقة ذاتها. وبذلك تتضاعف دلالة الوجود ويتسع معنى الحق. "(حرب، 2007، ص: 23) إن سؤال التأويل يمتدح من الفلسفات التأويلية وله تراث تليد، ونسعى به إلى تحديد النظر في وجودنا القابل للتأويل، وعليه هل هويتنا واحدة تدل على الائتلاف أم متعددة تدل على الاختلاف؟

خاتمة

وأخيرا جاز لنا القول أن فعل القراءة اليوم لم يعد حقيقة تلك الممارسة البسيطة كما كان يعتقد لدى البعض، والتي يمرر فيها البصر على السطور. ولا ذاك الاستقبال التقبلي الذي نكتفي فيه عادة بتلقي الخطاب تلقيا سلبيا. وهذا اعتقادا منا أن معنى النص قد صيغ وحددت دلالاته بشكل نهائي، ولم يبق سوى العثور عليه كما هو، أو كما كان نية في ذهن القارئ. لقد صار فعل القراءة عملية إنتاج وتوليد، فأمام القارئ مناهج كثيرة يقرأ وفقا لها النص الذي بين يديه، وله أن يختار منها ما يريد، فيحلل ويؤول كما يشتهي. في ظل ذلك نخلص من خلال بحثنا إلى ما يأتي من نتائج وتوصيات:

أولا: النتائج:

إن التأويل عملية ترتبط بشكل أساسي بمحاولة البحث عن الفهم والتفسير، وإزالة الغموض وعدم الوضوح الذي يبدو عليه النص للوهلة الأولى، والوصول إلى أكبر قدر من الفهم والوضوح لهذا النص.

يمكن القول بأن فعل التأويل أو العملية التأويلية التي نخوض غمارها حول نص ما فإنها تتطور بتطور فعل القراءة التي تفضي دائما إلى تكوين عقلية ناقدة تصقل وعي الفرد وتعمق من قدرته على فهم وتفسير ما يقرأ. ومهما تكن الإجراءات أو الخطوات التي يتبعها فهو يستهدف استخلاص المعنى الذي هو الخطوة الأولى نحو الفهم، وبناء المرجعية الذي هو الخطوة الأولى للتفسير والتراوح بين الفهم والتفسير هو الحركة الدائبة للتأويل في جميع الأوساط والمجالات.

وإذا كان من شأن المؤول في لحظة بعينها أو في موقف بعينه أن "يُسيج" النص من أجل الوصول إلى معناه أو إلى معنى فيه، فإن من شأنه كذلك أن يتابع حركة انفتاحه وأن يجعل من الحوار النصي ومن الحوار حول النص جزءاً لا يتجزأ من الإبداع حاضراً واستقبالياً.

ثانياً: التوصيات

- العمل على إثراء مكتبتنا العربية بنماذج منهجية حديثة للوصول إلى التأويل الصحيح أو التأويل المشروع.
- التصدي للمناهج المنحرفة في تأويل وقراءة النصوص ببيانها وبيان منتسبها.
- الاهتمام بفقهاء الاختلاف بين المناهج المتبعة للتأويل والعمل على تدريسها من أجل نبذ الخلاف.

قائمة المراجع:

- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين. لسان العرب. المجلد 01. لبنان: دار صادر.
- أرمسترونغ، بول ب. (2009). القراءات المتصارعة: التنوع والمصدقية في التأويل. ترجمة: فلاح رحيم. ط 1. لبنان: الكتاب الجديد المتحدة.
- الخطيبي، عبد الكريم. (1984). الباحث الناقد، مجلة الكرمل. العدد: 11. قبرص.
- الزاهي، فريد. (2003). النص والجسد والتأويل. الدار البيضاء: إفريقيا الشرق.
- إيكو، امبرتو. (2004). التأويل بين السيميائيات والتفكيكية. ترجمة: سعيد بنكراد. ط 1. الدار البيضاء / بيروت: المركز الثقافي العربي.
- بوعزة، محمد. إستراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية. ط 1. الرباط: دار الأمان.

- حجازي، سمير سعي. (2001). قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر. ط 1. بيروت: دار الأفاق العربية.
- حرب، علي. (2007). التأويل والحقيقة: قراءات تأويلية في الثقافة العربية. بيروت: دار التنوير.
- حرب، علي. (2011). نقد النص. ط 3. الدار البيضاء / بيروت: المركز الثقافي العربي.
- حمودة، عبد العزيز. (1998). المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية. عالم المعرفة.
- زيناتي، جورج. (2013). الفلسفة في مساراتها. ط 2. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- شوقي الزين، محمد. (2002). تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر. ط 1. الدار البيضاء / بيروت: المركز الثقافي العربي.
- عياشي، منذر. (1998). الكتابة الثانية وفتحة المتعة، ط 1. بيروت: المركز الثقافي العربي.
- فضل، صلاح. (2013). مناهج النقد المعاصر. ط 2. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة. (2004). المعجم الوسيط. ط 4. مصر: مكتبة الشروق الدولية.
- مفتاح، محمد. (1990). مجهول البيان. ط 1. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.